

رسالة في إثبات الإستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد

أبومحمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني الطائي السنبسي

www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الحبيب وعلى آله وسلم
الحمد لله الذي كان ولا مكان ولا إنس ولا جان ولا طائر ولا حيوان
المنفرد بوحدانيته في قدم أزليته والدائم في فردانيته في قدس
صمدانيته ليس له سمي ولا وزير ولا شبيه ولا نظير المتفرد بالخلق
والتصوير المتصرف بالمشيئة والتقدير ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير له الرفعة والعلاء والحمد والثناء والعلو والاستواء لا
تحصره الأجسام ولا تصوره الأوهام ولا تقله الحوادث ولا الأجرام ولا
تحيط به العقول ولا الأفهام له الأسماء الحسنى والشرف الأتم
الأسنى والدوام الذي لا يبيد ولا يفنى نصفه بما وصف به نفسه من
الصفات التي توجب عظمته وقدرته مما أنزله في كتابه وبينه
رسوله في خطابه ونؤمن بأنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم
السميع البصير العليم القدير الرحمن الرحيم الملك القدوس العظيم
لطيف خبير قريب مجيب متكلم مريد فعال لما يريد يقبض ويبسط
ويرضى ويغضب ويحب ويبغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه
الكريم والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدين
والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والامتنان لم يزل كذلك

ولا يزال استوى على عرشه فبان من خلقه لا يخفى عليه منهم

خافية علمه بهم محيط وبصره بهم نافذ وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يمثل بشيء من جوارح مبدعاته وهي صفات لائقة بجلاله وعظمته لا تتخيل كيفيتها الظنون ولا تراها في الدنيا العيون بل نؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها وننفي عنها تأويل المتأولين وتعطيل الجاحدين وتمثيل المشبهين تبارك الله أحسن الخالقين فبهذا الرب نؤمن وإياه نعبد وله نصلي ونسجد فمن قصد بعبادته إلى إله ليست له هذه الصفات فإنما يعبد غير الله وليس معبوده ذلك بإله فكفرانه لا غفرانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله اصطفاه لرسالته واختاره لبريته وأنزل عليه كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد

وبعد فهذه نصيحة كتبتها إلى إخواني في الله أهل الصدق والصفاء والإخلاص والوفاء لما تعين علي من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عز وجل فإن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وعن تميم الداري أن النبي قال الدين النصيحة ثلاثا قلنا لمن قال لله

ولكتابيه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم أعرفهم أيدهم الله

تعالى بتأييده ووفقهم لطاعته ومزيده أنني كنت برهة من الدهر متحيرا في ثلاث مسائل مسألة الصفات ومسألة الفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وكنت متحيرا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو إمرارها والوقوف فيها أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات وكذلك في إثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزول الأمر ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند

ربهم وأمثال ذلك ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك

المعنى القائم

وممن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدري منزلة
مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين لأنني على مذهب
الشافعي رضي الله عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه فأجد مثل
هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال وهم شيوخ
ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم ثم إنني مع ذلك أجد في
قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها وأجد الكدر
والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم

انشراحه مقرونا بها فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره المتململ
من قلبه في تقلبه وتغيره
وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة
الحصر والتشبيه ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله
وسنة رسوله أجدها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني وأجد
الرسول قد صرح بها مخبرا عن ربه واصفا له بها وأعلم بالاضطرار أنه
كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد
والأعرابي والجافي ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان
يصف ربه بها لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما
تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستيلاء

بالاستواء ونزول الأمر للنزول وغير ذلك ولم أجد عنه أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني آخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المرتبة

ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول الرحمن على العرش استوى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم يخافون ربهم من فوقهم إليه يصعد الكلم الطيب ءأمنتهم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا قل نزله روح القدس من ربك وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال وإني لأظنه كاذبا وقوله تعالى ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم أجد الرسول لما أراد الله تعالى أن يخصه بقربه عرج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى ثم قوله في الحديث الصحيح للجارية أين الله فقالت في السماء فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه بل أقرها وقال اعتقها فإنها مؤمنة وفي

حديث جبير بن مطعم قال قال النبي إن الله فوق عرشه فوق
سمواته وسمواته فوق أرضه مثل القبة وأشار النبي بيده مثل القبة
وقوله الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض

يرحمكم من في السماء أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح

وعن معاوية بن الحكم السلمي قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال
ادعها فدعوتها قال فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا
قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة
رحلى مسلم ومالك في موطئة

وعن أبي

الدرء قال سمعت رسول الله يقول من اشتكى منكم شيئاً أو
اشتكى أخ له فليقل ربنا الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في
السماء والأرض كما رحمتك في السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت
رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجد
فيبرأ أخرجه أبو داود

وعن أبي سعيد الخدري قال بعث علي من اليمن بذهيبة في أديم
مقروط لم تحصل من ترابها فقسمها رسول الله بين أربعة زيد الخير
والأقرع بن

حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك

عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله
ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من السماء صباحا
ومساء
أخرجه البخاري ومسلم ذئب
وعن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن

عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي قال إن الميت
تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس
الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح
وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج
بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقول فلان فيقولون
مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلها حميدة
وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال

لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل الحديث
وعن أبي هريرة أن رسول الله قال والذي نفسي بيده ما من رجل
يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء
ساخطا عليها حتى يرضى عنها
أخرجه البخاري ومسلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح حدثنا
الوليد بن أبي ثور عن

سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن
عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله

فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب
قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما

بعد ما بين السماء والأرض قالوا لا ندري قال إن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوق ذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلى مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلى مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك

قال الإمام الحافظ عبد الغني في عقيدته لما ذكر حديث الأوعال قال رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال حديث الروح رواه

أحمد والدارقطني وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش أخرجه البخاري ومسلم

وأخرج محمد بن اسحاق عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في

بني قريظة قال له رسول الله لقد حكمت حكما حكم الله به من فوق سبع أرقعة وحديث المعراج عن أنس بن مالك أن مالك بن

صعصة حدثه أن نبي الله حدثهم عن ليلة أسري به وساق الحديث إلى أن قال ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثل ذلك فرجعت إلى ربي فوضع عني عشرا خمس مرات في كلها

يقول فرجعت إلى موسى ثم رجعت إلى ربي
أخرجه البخاري ومسلم
وحديث أبي هريرة أن رسول الله قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل
وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج
الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم

كيف تركتم عبادي متفق عليه
وعن ابن عمر قال لما قبض رسول الله دخل عليه أبو بكر رضي الله
تعالى عنه فأكب عليه وقبل جبهته وقال بأبي أنت

وأمي طبت حيا وميتا وقال من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فإن الله حي في السماء لا يموت رواه البخاري
عن محمد بن فضيل عن فضيل بن غزوان عن

نافع عن ابن عمر

وعن أنس بن مالك كانت زينب تفخر على أزواج رسول الله وتقول إن الله زوجني من السماء وفي لفظ زوجكن أهلوكن

وزوجني الله من فوق سبع سموات أخرجه البخاري
وحديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء وحديث ابن

عباس أن رسول الله لما أسري به مرت رائحة طيبة فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة فقال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون كانت تمشطها فوق المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنته إلى أبيها فدعا بها فقال هل لك رب غيري قالت ربي وربك الله الذي في السماء فأمر ببقرة نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهم فيها الحديث رواه الدارمي وغيره

وروى الدارمي أيضا بإسناده إلى أبي صالح عن أبي هريرة قال

قال رسول الله لما ألقى إبراهيم في النار قال اللهم إنك في السماء
واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك
وأما الآثار عن الصحابة في ذلك فكثير منها قول عمر رضي الله عنه
عن خولة لما استوقفته فوقف لها فسئل عنها فقال هذه امرأة
سمع الله شكواها من فوق سبع سموات وعبد الله بن

رواحة لما وقع بجارية له فقالت له امرأته فعلتها قال أما أنا فأقرأ
القرآن فقالت أما أنت فلا تقرأ القرآن وأنت جنب فقال
شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحملة ملائكة كرام ... ملائكة الإله مسومينا

وابن عباس لما دخل على عائشة وهي تموت فقال لها كنت أحب
نساء رسول الله ولم يكن يحب إلا طيبا وأنزل الله براءتك من فوق
سبع سموات

وكذلك نجد أكابر العلماء كعبد الله بن المبارك رضي الله عنه صرح
بمثل ذلك روى عثمان بن سعيد الدارمي قال حدثنا الحسن بن
الصباح قال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك قيل
له

كيف تعرف ربنا قال بأنه فوق السماء السابعة على العرش باين من
خلقه

فصل

فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال
حتى لطف الله تعالى وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفا
اطمئن إليه خاطره وسكن به سره وتبرهن بالحق في نوره وها أنا
واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالى

والذي شرح الله صدي له في حكم هذه الثلاث مسائل الأولى
مسألة العلو والفوقية والاستواء هو أن الله عز وجل كان ولا مكان لوا
عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا خلاء ولا ملأ وأنه كان منفردا في
قدمه وأزليته هو متوحد في فردانيته وهو سبحانه وتعالى في تلك
الفردانية لا يوصف بأنه فوق كذا إذ لا شيء غيره هو سابق للتحت
والفوق اللذين هما جهتا العالم وهما لازمتان لها والرب تعالى في
تلك الفردانية منزّه عن لوازم الحدث وصفاته فلما اقتضت الإرادة
المقدسة بخلق الأكوان المحدثّة المخلوقة المحدودة ذات الجهات
اقتضت الإرادة

المقدسة على أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل وهو
سبحانه منزّه عن صفات الحدث فكون الأكوان وجعل لها جهتا العلو
والسفل واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الكون في جملة التّحت
لكونه مربوبا مخلوقا واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو فوق الكون
باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته إذ لا فوق فيها ولا تحت ولكن الرب
سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته لم تحدث له
في ذاته ولا في صفاته ما لم يكن له في قدمه وأزليته فهو الآن كما
كان لكن لما حدث المربوب المخلوق والجهات والحدود ذو الخلا
والملا وذو الفوقية والتحتية كان مقتضى حكم عظمة الربوبية أن

يكون فوق ملكه وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون فإذا أشير إليه يستحيل أن يشار إليه من جهة التحتية أو من جهة اليمنى أو

من جهة اليسرى بل لا يليق أن يشار إليه لا من جهة العلو والفوقية ثم الإشارة هي بحسب الكون وحدوثه وتسفله فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الإله تعالى كما يليق به لا كما تقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلا جزء من الكون فإنها إشارة إلى جسم وتلك إشارة إلى إثبات إذا علم ذلك فالاستواء صفة كانت له سبحانه في قدمه لكن لم يظهر حكمها إلا عند خلق العرش كما أن الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمه إلا في الآخرة وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه إلا في محله تنبيه إذا علم ذلك فالأمر الذي تهرب المتأولة منه حيث أولوا الفوقية بفوقية المرتبة والاستواء بالاستيلاء فنحن أشد الناس هرباً من ذلك وتنزيهاً للباري تعالى عن الحد الذي يحصره فلا يجد بحد يحصره بل يحد تتميز به عظمتة وذاته ليس مخلوقاته والإشارة إلى الجهة إنما هو بحسب

الكون وتسفله إذ لا يمكن الإشارة إليه إلا هكذا وهو في قدمه
سبحانه منزّه عن صفات الحدوث وليس في القدم فوقية ولا تحتية
وإن من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة باريه إلا من فوقه
فتقع الإشارة على العرش حقيقة إشارة معقولة وتنتهي الجهات
عند العرش ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكفيه بكيفية الوهم
فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملاً ثابتاً لا مكيفاً ولا ممثلاً وجه
من البيان الرب ثابت الوجود ثابت الذات له ذات مقدسة متميزة عن
مخلوقاته تجلّى للأبصار يوم القيامة ويحاسب العالم فلا يجهل ثبوت
ذاته وتميزها عن مخلوقاته فإذا ثبت ذلك فقد أوجد الأكوان في محل
وحيز وهو سبحانه في قدمه منزّه عن المحل والحيز فيستحيل
شرعاً وعقلاً عند حدوث العالم أن يحمل فيه أو يختلط به لأن القديم
لا يحل في الحادث وليس هو محلاً للحوادث فلزم أن يكون بايناً عنه
وإذا كان بايناً عنه يستحيل أن يكون العالم في جهة الفوق وأن يكون
ربه سبحانه في جهة التحت هذا محال شرعاً وعقلاً فيلزم أن يكون
العالم في جهة الفوق فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تكيف ولا
تمثل بل تعلم من حيث الجملة والثبوت لا من حيث

التمثيل والتكليف وقد سبق الكلام في أن الإشارة إلى الجهة إنما هو باعتبارنا لأنا في محل وحد وحيز والقدم لا فوق فيه ولا تحته ولا بد من معرفة الموجد وقد ثبت بينونه عن مخلوقاته واستحال علوها عليه فلا يمكن معرفته والإشارة بالدعاء إليه إلا من جهة الفوق لأنها أنسب الجهات إليه وهو غير محصور فيها هو كما كان في قدمه وأزليته فإذا أراد المحدث أن يشير إلى القديم فلا يمكنه ذلك إلا بالإشارة إلى الجهة الفوقية لأن المشير في محل له فوق وتحت والمشار إليه قديم باعتبار قدمه لا فوق هناك ولا تحت وباعتبار حدوثنا وتسفلنا هو فوقنا فإذا أشرنا إليه تقع الإشارة عليه كما يليق به لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة إلى الأجسام لكننا نعلمها من جهة الإجمال والثبوت لا من جهة التمثيل والتكليف والله الموفق للصواب ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وأنه ليس له إلا جهتا العلو

والسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم بينونة أن يكون فوقه لأن جميع جهات العالم فوق وليس السفلى إلا المركز وهو الوسط

فصل

إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبه التأويل وعمادة

التعطيل وحمافة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تشرح له فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل

تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وعي مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقونا على إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حمافة وجهالة فمن وفقه الله تعالى للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى

فصل

والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الأمر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين

فما فهموا عن

الله استواء يليق به ولا نزولا يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا
تكييف ولا تشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف
الله تعالى نفسه به ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى
لا ريب إنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة والسمع
والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام لله ونحن قطعاً لا نعقل من
الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لا نعقل من
السمع والبصر إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا فكما إنهم يقولون حياته
ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره كذلك هي صفات كما تليق به لا
كما تليق بنا فكذلك نقول نحن حياته معلومة وليست مكيفه وعلمه
معلوم وليس مكيفاً وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك
أعراضاً بل هو كما يليق به
ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله ففوقيته معلومة أعني ثابتة
كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر فإنهما معلومان ولا يكيفان
كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به واستواؤه على
عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق بل كما
يليق بعظمته وجلالة صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت غير
معقولة من حيث التكييف والتحديد فيكون المؤمن بها مبصراً من

وجه أعمى من وجه مبصرا من حيث الإثبات والوجود أعمى من
حيث التكيف والتحديد

وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله تعالى نفسه به وبين
نفي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب تعالى منا في
إبراز صفاته لنا لنعرفه به ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه ولا
نعطلها بالتحريف والتأويل ولا فرق بين الاستواء والسمع ولا بين
النزول والبصر الكل ورد في النص
فإن قالوا لنا في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك
والتعجب من التشبيه شبهتهم نقول لهم في السمع شبهتهم
ووصفتكم ربكم بالعرض فإن قالوا لا عرض بل كما يليق به قلنا في
الاستواء والفوقية لا حصر بل كما يليق به فجميع ما يلزمونا به في
الاستواء نلزمهم به في الحياة والسمع فكما لا يجعلونها هم أعراضا
كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا ما يوصف به المخلوق وليس من
الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات
المخلوقين فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف
فإن فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات
السبع صفات المخلوقين من الأعراض فما يلزمونا في تلك الصفات
من التشبيه والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية

وما ينزهوا ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم
فيها فكذا نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبون فيها إلى
التشبيه سواء بسواء ومن

أنصف عرف ما قلنا اعتقده وقبل نصيحتنا ودان لله بإثبات جميع
صفاته هذه وتلك ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل
والوقوف وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لأن هذه الصفات وتلك
جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل
وحررنا هذه وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي
هذا بلاغ وكفاية إن شاء الله تعالى

فصل

وإذا ظهر هذا وبان انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهي مسألة
الصفات من النزول واليد والوجه وأمثالها ومسألة العلو والاستواء
ومسألة الحرف والصوت أما مسألة العلو فقد قيل فيها ما فتحه الله
تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو ولا نفهم
منها ما نفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما
يليق بجلاله وعظمته فتزل كما يليق بجلاله وعظمته ويداه كما
تليق بجلاله وعظمته ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته فكيف
ننكر الوجه الكريم ونحرف وقد قال في دعائه أسألك لذة النظر إلى

وإذا ثبت صفة الوجه بهذا الحديث وبغيره من الآيات والنصوص فكذلك صفة اليدين والضحك والتعجب ولا يفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله عز وجل وبعظمته لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فإذا ثبت هذا الحكم في الوجه فكذلك في اليدين والقبضتين والقدم والضحك والتعجب كل ذلك كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته فيحصل بذلك إثبات ما وصف الله تعالى نفسه به في كتابه وفي سنة رسوله ويحصل أيضا نفي التشبيه والتكييف في صفاته ويحصل أيضا ترك التأويل والتحريف المؤدي إلى التعطيل ويحصل أيضا بذلك عدم الوقوف بإثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى ألم وقال ألمص وقال

ق والقرآن المجيد وكذلك جاء في الحديث فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وفي الحديث لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف لام حرف ميم حرف فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى إلا ما فهموه من كلام المخلوقين فقالوا إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الحلق

والحنجرة عملوا في هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات

والتحقيق هو أن الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فإنه قادر والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة كلام الله تعالى كما يليق به وصوته كما يليق به ولا ننفي الحرف ولا الصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات فإنهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الإنسان به من التعسف والتكلف بقوله هذا عبارة عن ذلك

فإن قيل فهذا الذي يقرأه القارئ هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو قلنا لا بل القارئ يؤدي كلام الله تعالى والكلام إنما

ينسب إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مؤديا مبلغا ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ولهذا منع السلف عن قول لفظي بالقرآن مخلوق لأنه لا يتميز كما منعوا عن قول

لفظي بالقرآن غير مخلوق فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق

فصل

العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه فإنه يبقى ضائعا لا يعرف وجهة معبوده لكن لو عرفه بسمعه وبصره وقدمه وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهه

الذي يعبدده فوق الأشياء فإذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه إلى
جهة العرش منزلها ربه تعالى عن الحصر مفردا له كما أفردده في
قدمه وأزليته عالما أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ولا يمكننا
الإشارة إلى ربنا في قدمه وأزليته إلا بها لأننا محدثون والمحدث لا بد
له في إشارته إلى جهة فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق
بعظمته لا كما بتوهمه هو من نفسه ويعتقد أنه في علوه قريب من
خلقه هو معهم بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقدرته ومشيتته
وذاته فوق الأشياء فوق العرش ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو
التوجه أشرق قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان

وغشيت أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه فانشرح لذلك
صدره وقوى إيمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول
وذاق حينئذ شيئا من أذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف
وجهة معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فإنها قالت
في السماء عرفت أنه على السماء فإن في تأتي بمعنى على
قوله تعالى يتيهون في الأرض أي على الأرض وقوله لأصلبنكم في
جذوع النخل أي على جذوع النخل فمن تكون الراعية أعلم بالله منه
لكونه لا يعرف وجهة معبوده فإنه لا يزال مظلّم القلب لا يستنير
بأنوار المعرفة والإيمان ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرب

ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصرا من وجه أعمى من وجه كما سبق مبصرا من جهة الإثبات والوجود والتحقيق أعمى من جهة التحديد والحصر والتكليف فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى ووجد نوره وبركته عاجلا وآجلا ولا ينبؤك مثل خبير والله سبحانه الموفق والمعين

فصل

في تقريب مسألة الفوقية من الأفهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة وحكمها صحيح لأنه ببرهان لا يكابر الحس فيه بأن الأرض في جوف العالم العلوي وأن كرة الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة والسماء محيطة بها من

جميع جوانبها وأن سقل العالم هو جوف كرة الأرض وهو المركز ونحن نقول جوف الأرض السابعة وهم لا يذكرون السابعة لأن الله تعالى أخبرنا عن ذلك وهم لا يعرفون ذلك وهذه القاعدة عندهم هي ضرورة لا يكابر الحس فيها أن المركز هو جوف كرة الأرض وهو منتهى السفلى والتحت وما دونه لا يسمى تحت بل لا يكون تحت ويكون فوق بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفلى العالم إلى تلك الجهة لكان الخرق إلى جهة فوق ولو نفذ الخرق إلى السماء من

تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق
وبرهان ذلك أنا لو فرضنا مسافرا سافر على كرة الأرض من جهة
المشرق إلى جهة المغرب وامتد مسافر المشي على كرة الأرض
إلى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه وهو
في سفره هذا لم تبرح الأرض تحته والسما فوّه فالسما التي
يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض لا تحتها لأن السما
فوق الأرض بالذات فكيف كانت السما كانت فوق الأرض من أي
جهة فرضتها ومن أراد معرفة ذلك فليعلم أن كرة الأرض النصف
الأعلى منها ثقله على المركز والنصف الأسفل منها ثقله على
النصف الأعلى أيضا إلى جهة المركز والنصف

الأسفل هو أيضا فوق النصف الأعلى كما أن النصف الأعلى فوق
النصف الأسفل ولفظ الأسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل الناظر
وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الأرض إلا سدسها والعمران على ذلك
السدس والماء فوق الأرض كيف كان وإن كنا نرى الأرض مدحية
على الماء فإن الماء فوقها وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهي
فوقها وإذا كان الأمر كذلك فالسما التي تحت النصف الأسفل من
كرة الأرض هي فوقه لا تحته لأن السما على الأرض كيف كانت
فعلوها على الأرض بالذات فقط لا تكون تحت الأرض بوجه من

الوجوه وإذا كان هذا الجسم وهو السماء علوها على الأرض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى سبح اسم ربك الأعلى وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية يخافون ربهم من فوقهم وإليه يصعد الكلم الطيب وهو القاهر فوق عباده لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه علي بالذات وهو كما كان قبل خلق الأكوان وما سواه مستقل عنه بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج الأمر إليه فيحيي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويعز هذا ويذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شيء قائم به فرحم الله

عبدا وصلت إليه هذه الرسالة ولم يعاجها بالإنكار وافتقر إلى ربه في كشف الحق آناء الليل والنهار وتأمل النصوص في الصفات وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الرب تعالى بها والتوجه إليه منها وإثباتها له بحقائقها وأعيانها كما

يليق بجلاله وعظمته بلا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا
جمود ولا وقوف وفي ذلك بلاغ لمن تدبر وكفاية لمن استبصر إن
شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه وسلم والله سبحانه أعلم

تمت الرسالة

www.al-mostafa.com